

الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى*

عبد العزيز بن عبد الله

الأستاذ في جامعة الرباط ودار الحديث الحسنية

كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد لمحمد ولذلك نرى أن كلمة الاهواز اسم عربي أطلق على هذا الاقليم في العصر الاسلامي وتسمى بهذا الاسم في المغرب الأقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل لهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول اسباب اطلاق اسم سوس على أقصى جنوب المغرب في الاطلس الصغير فيروي المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) المتوفى في عام 35 قبل الميلاد (في الكتاب الذي صنفه حول « حرب يوغورتا » ملك نوميديا من اسر امراء البربر والمولود عام 154 قبل الميلاد) أن الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الايبيرية (اي اسبانيا والبرتغال) في عهد هيراكلس (Héracles) (وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الأقصى) قد تحولت اشرعة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطي فوصلوا

الخليج عريق في العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون (Strabon) المتوفى بين 21 و 25 ميلادية كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (1) الفارسي الى القائد اليوناني نيركس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلى عروبة المنطقة ايضا منذ اعرق (2) العصور في الاسم الذي تحمله مقاطعة « خوزستان » الايرانية التي كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة « عربستان » اي « بلاد العرب » ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبنو تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه « وعربستان » هذه هي التي كانت تسمى « الاهواز » والاهواز كما جاء في معجم البلدان جمع هوز واصله حوز لانه ليس في

(x) هذا نص محاضرة القاها الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله في ابي ظبي يوم رابع يناير 1973 .

(1) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين (Pline) المتوفى عام 79 م حيث سمي الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(2) وقد ندد الرائد الدنماركي كارستن نيبور عام 1762 م (1176 هـ) بهذا الزعم الذي رده جغرافيون صوروا جزءا من بلاد العرب كانه خاضع - كما يقول نيبور - لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الانجليزي هورو دريك اوين في القرن العشرين رغم تواطؤ الكثير من الجغرافيين المعاصرين على الغض من عروبة الخليج .

تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية في كتابه « ملوك العرب » .

وبذلك يكون الفينيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنسون .

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط وأسسوا ليكس واوتيكا ومالقة وقادس (بالاندلس) وهبو (عنازة وبنزرت) ثم تجاوزوا حسب سترابون أساطين هرقل وتأكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلسي مما قد يؤكد النظرية القائلة بأن هانون قد وصل في رحلته في القرن الخامس قبل الميلاد الى درعة والساقية الحمراء وربما غينيا في قلب القارة الافريقية وقد أصبحت اللغة البونيقية (Langue punique)

المستمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محلية لغة أشبه بعامية افريقيا الشمالية في العصر الحاضر نشرنا بحثا عنها في مجلة « اللسان العربي » (التي أشرف بإدارتها ورياسة تحريرها وهي لسان « الكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ») .

وخلاصة ما في هذا البحث أنه عثر في البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونانية تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم في المغرب العربي أن هذه اللهجات ليست سوى امتداد أصيل للغة بني كنعان العربية التي استعملت قبل الاسلام في كل من الخليج العربي قبل البعثة المحمدية بأزيد من ألف عام ، وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزاني المعروف عند الغربيين بليون الافريقي (Léon l'Africain) أن الفينيقيين عنصر هام في سكان افريقيا الاقدمين حيث انتقل فوج منهم صعبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق. م عندما أجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم تابعت الجاليات أيام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق. م والواقع أن العرب كانوا يملأون - بالإضافة الى الشمال الافريقي - هضبات وبطاح جنوب افريقيا حيث كشف الدكتور استانلي تيبور على مقربة من نهر زمبيز في مقاطعة روديسيا آثارا منقوشة مع رسوم مكتوبة استدل بها على أن العرب استثمروا مناجم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم أسلافهم عرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج2 ص 43) أن الحضارة ظهرت في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة وانتشرت في صورة مثلث الى شومر وبابل وأشور ومصر وبعض هذه النظرية ما قيل من أبوة

الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيوتول (Gétules) (وهم أهل جزولة الحالية على ما يظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدينتي سوسة التونسية والليبية وهما متشابهان ونهر سوس قرب قرطبة واشبيلية بالاندلس وسوسة كورة بالاردن (معجم البلدان ج 5 ص 173) وسوسة مدينة بالصين (أصبح الاعشي ج 4 ص 483) اقتبسنا من كلمة سوسانة (Susiane) (أو أرض عيلام (Elam) الواقعة بمنطقة الاهواز على أن الفرس قد اشتهروا قديما بالتوميديين ومعناه الرمل بلفظهم وقد أطلق هذا الاسم على أهل نوميديا وهي اقليم افريقي يقع بين منطقة قرطاج التي أسسها الفينيقيون كعاصمة لمستعمرتهم عام 814 ق. م. وبلاد موريطانيا وقد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكم الروماني وسنرى كيف أن هذه العناصر تشكل حلقات في الشبكة الواسعة التي حبكها الفينيقيون منذ أعرق العصور بين الشمال الافريقي والخليج العربي ، نعم كان للعرب الكنعانيين أي الفينيقيين جولات في الخليج العربي فهم الذين أسسوا مدينة تير (Tyr) (صور الحالية في لبنان) في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وكانت عاصمة تشرف على القوافل التي تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الآسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين أسسوا مدينة قرطاج (واسمها محرف عن قرية حدادش أي القرية الحديثة لأنها أسست بعد كل من مدينة اوتيكا (Utique)

التونسية ومدينة ليكس (Lix) المغربية حوالي (110 ق. م.) وقد سقطت مدينة تير تحت الحكم الروماني عام 64 ق. م. وأشرف عليها وعلى قصر فرعون أي ويلي القديمة (Volubilis) بالمغرب الأقصى الامبراطور الروماني سبتيم سيفير (Septième sévère) بين سنتي 193 و 211 ق. م

ويرى بعض المؤرخين أن الفينيقيين كانوا قد استقروا فترة من الزمن في شواطئ الخليج قبل أن ينتقلوا الى الساحل السوري وأنهم سمو مدينة « صور » على شاطئ البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهم الاولى على شاطئ الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها في المنطقتين تضيف على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وأن مؤرخين محدثين قد أكدوا ذلك ومن جملتهم الاستاذ جان جاك بيربي (J.J. Berreby) في كتابه « الخليج الفارسي » (Le Golfe Persique) والاستاذ أمين الريحاني الذي أبرز بالإضافة الى ما ذكر

اليمن (بلد العرب البائدة) للشعب العربي في سائر اقطاره وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون في تاريخه (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة جبال الاطلس المغربية فأشار الى ما اكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من ان صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (سكان الاطلس الكبير) وكتامة (بشمال وشرقي المغرب الأقصى) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة - حسب هذه الرواية - اعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صيفي الحميري وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي في صبح الاعشى (ج 1 ص 321) فلاحظ ان افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام - مركز الفينيقيين ومهاجري الخليج العربي - الى المغرب ملاحظا ان اكثر الاقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم (في جمهرته) وتبعه ابن خلدون (التاريخ ج 6 ص 96) الذي زعم انه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون اغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم (أي عيذاب وبور سودان الحالية) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى النيجر الى مراکش تلك الطريق التي أكد الحسن الوزاني في وصف افريقيا (ج 1 ص 14 و 29) انه رافق عام 918 هـ تجارا انتقلوا من المغرب الى السودان ثم مصر حيث دشنوا طريقا جديدة من الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس قد هجرت منذ قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالماني (هانز Hanz Helfritz) في كتاب له حول اليمن (تعريب خيرى حماد ص 134) التشابه الملحوظ بين الالحن في اغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية التي تمكن كارل ولهام لخمسان (1793 م - 1851 م) من تسجيلها فأبرز وحدة الانشاد ، اضاف الى ذلك وجود ابنية بالاطلس تشبه تلك التي تقوم في الجنوب العربي وتحمل نفس المظاهر المعمارية ، وقد شرح هورن بوستل النمساوي (1877 - 1935 م) انتماء البربر واليمنيين الى اصل واحد ينتسب الى آسيا الشرقية .

وسنرى كيف ان سجلماصة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس بدع ان يوغل في الصحراء اهل هذه الصحراء لا سيما وان هؤلاء كان دابهم في جميع الاعصار الفرار من رطوبة السواحل والتوغل في الرمال سواء كانت في النيجر ام في السودان ام في الثلث الخالي من جنوب غرب آسيا وقد أسس العرب مراكز تجارية في غمار الصحاري كمحطات للقوافل المحملة بالبضائع الجلوبة من اقاصي البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتما في الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة القبلية في الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة التجارية برا وبحرا وفترة ذهبية في تاريخها فالسلي القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات الجغرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي الذي رحل الى الصين عام 256 هـ وسليمان الصرافي الذي كتب رحلته الى الخليج العربي والخليج الصيني عام 237 هـ وسلام الترجمان الذي رحل الى الصين الشمالي ايام الخليفة الواثق بالله واليعقوبي صاحب البلدان وابن خردادبة صاحب المسالك والممالك المتوفى عام 300 هـ اما في اوائل القرن الرابع فهناك الحسن المهلب الذي رحل الى السودان عام 375 هـ ومحمد التاريخي الاندلسي المتوفى عام 363 هـ وهو صاحب « كتاب وصف افريقية والمغرب » وابو دلف الذي رحل الى الصين حوالي 331 هـ والاصطخري صاحب « الاقاليم » و « الممالك » الذي لقى ابن حوقل استغرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة والمسعودي صاحب « مروج الذهب » و « معادن الجواهر » الذي فرغ منه عام 336 هـ وهو كما وصفه ابن خلكان امام المؤرخين ، والواقع ان طريق الوطن العربي الى الصين فتح منذ عام 31 هـ (651 م) بتتابع سفارات بلغت في ظرف 147 سنة ستا وثلاثين بعثة دبلوماسية عربية (مجلة بناء الصين عدد 3 - 1966) على ان الكلمة التي استعملها التجار العرب والرحالون الاوربيون في العصور الوسطى لتسمية بيكين (Pékin) هي لفظة خان باليك (Khan Balik) (دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 1024) وكانت الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب أوربا او من الشمال الافريقي او من روسيا تؤدي الى ميناء الابلة وميناء البصرة وقد اكد الرحالة بانيكار في كتابه

في المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت أيضا بسجلماصة حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا (المسالك والممالك ص 70) عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسسة عام 140 هـ) فلاحظ انه « رأى صكا فيه ذكر حق على رجل من اهل سجلماصة لرجل آخر من اهلها بأربعين ألف دينار » كما رأى ذلك بخراسان والعراق (ولعله يعني البصرة) وكان التجار المسيحيون الواردون من الاندلس وتلمسان يمرون بسجلماصة الذي أكد ياقوت الحموي في معجمه أن مصانع نسيجها بذت في جودة الانتاج مصانع مصر كما لاحظ ابن خردادبة الجغرافي العربي في القرن الثالث الهجري أن التجار الصقالبة كانوا يمرون في وجهتهم نحو لشرق عن طريق سوس الأدنى أي طنجة ومنها إلى أفريقيا ومصر وتشمل مقاطعة سوس الأدنى بالإضافة إلى فاس مدينة البصرة المغربية بحيث يمكن القسول بأن هذا المركز كان منطلقا للقوافل نحو البصرة الشرقية سواء عبر الصراء الجنوبية أم خلال بلاد الكنانة ولعله ليس من العبث أن تحمل مدن مغربية واندلسية على طول الطريق الغربي أسماء مدن أخرى تتلاحق في الشق الشرقي لنفس الطريق فبالإضافة إلى البصرة وسوس الاهواز وحمص (في كل من فاس الجديد والاندلس) توجد في قلب الاطلس مدينة القاهرة وفي قلب الريف اقليم فشتالة المعروف بالشام الصغيرة كما توجد في الاندلس مدينة تدمير (Todmir)

Encyclopédie de l'Islam, IV, p. 848

المتساوقة في اسمها مع تدمر السورية (Taomor Palmyre) التي كانت منذ العصر الروماني من أبرز المراكز التجارية في هذه الشبكة وكانت أشهر المدن والموانئ في الخليج آنذاك أبولو جوس أي الأبله (Abolla) التي ينتمي إليها أبو عبد الله الأبله شيخ ابن خلدون وقد ظلت الأبله المخرج الرئيسي على الخليج من أجل التجارة الفارسية في النقطة التي تلتقي عندها الطرق العظيمة من فارس وجزيرة العرب على ضفتي دجلة وقد لفت ابن خردادبة الانتباه إلى المكانة الهامة التي احتلتها الأبله في التجارة بين الشرق والغرب حيث كان التجار اليهود يقلعون من فرنسا في البحر العربي (أي المتوسط) ويتجهون نحو انطاكية ومنها إلى بغداد ثم الأبله فالسند والهند والصين وقد ظلت هذه المدينة بارزة على المسرح العالمي مرتبطة بالبصرة في النشاطات البحرية الخاصة بالخليج لعدة قرون وإذا كانت مدينة البصرة

حول « آسيا والسيطرة الغربية » أن العرب سواء في الشرق أم في الغرب أصبحوا يتنافسون مع الشعوب الأخرى على تجارة الافاوية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس في المغرب الأقصى (ص 37 ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد) أضف إلى ذلك أن تجارة الرقيق المجلوب من أفريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لهما ضلع في تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من اهتمام المسئولين العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الاندلس والمغرب إلى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية في الخليج العربي بنشاط غامر في هذا الحقل التجاري فكانت سيرا ف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت في شهرتها ميناء الأبله الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الاوحد ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لنهر دجلة الممتد إلى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضة وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سجلماصة مبلغا جعل الاندلسيين أنفسهم يتعاملون بالدينانير السجلماصية (البيان لابن عذارى ج 2 ص 344) نظرا لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية في طريق القوافل وقد وقع العثور عام 1951 في الانقاض الاسلامية بقصر فرعون (Volubilis) على 231 درهما فضيا من العصر الاموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واضطخر وجند يسابور ودمشق وحمدان وأفريقيا .

وإذا علمنا أن البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء في جانب الأرض المزروعة وبساتين النخيل في منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط أنظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث أسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان ومرحلة في طريق القوافل إلى أن هدمها أبو الفتح عام 368 هـ (البيان لابن عذارى ج 1 ص 330) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام 1050 م عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيالات أو سفتجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل بنك مقابل ايصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحوالات ويقوم التاجر طوال اقامته

المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر المتوسط فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سيما بعد ان اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروها لخدمتهم وأنشأوا الموانئ والمنازل التي تشتعل فيها النيران ليلا لتهدي بها السفن وعززوا المرافئ بمراكز الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو ، وقد اشار ابن مرزوق في « المسند الصحيح الحسن » (Hesperis) ج 5 عام 1925 الى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين أسفي (في المحيط الاطلنطيقي) وجزائر بني مزغانة (عاصمة الجزائر الحالية) تتخبر فيما بينها باشغال النيران في أعلاها وفي كل محرس رجال مرتبون ونظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين والتنبير يبدو في المحارس للتحذير » .

وقد اشار البكري (افريقية والمغرب في المسالك ص 35 و 48) الى محارس سوسة والمستير وفي هذا العصر استعير عن الموالى الصقالبة الذين نفقت نخاستهم منذ القرن الهجري واقرن اسمهم بها حتى صار الاوربيون يطلقون اسم الصقالبة (Slaves) على العبيد (Esclaves) (1) نقول استعير عنهم بالزنج الذين أصبح التجار المسلمون يأتون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي أي في تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين والزيديين افريقية فرارا من الاضطهاد العباسي ثم استفحل ذلك عندما زج الفاطميون - اقتصاصا من بني زيري - بمائتي ألف قرمطي من بني هلال وبني سليم الذين نشروا الدمار في هذه البلاد مما حدا ابن خلدون الى التنكر في القرن الثامن للعرب الذين لم يكن يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول منتقاة كان الزمن قد عفى على عنجيتهم البدوية ونزعتهم القرمطية فكان لهم ضلع في تعريب المغرب وشنقيط والواقع ان الباطنيين من القرامطة او اليديين قد عاثوا فسادا في افريقية وجاس المغامرون منهم في مجاهل الصحراء الافريقية لاصطياد الزنوج في الادغال الكثيفة وفي هذا العصر حادت طريق البر في شمال افريقيا عن خطها العادي لتتصل بالبصرة وبغداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلي على طول بحر

الحديثة قد امتصت الأبله فان ذلك لم يتم الا بعد القرن التاسع الهجري وهنا يمكن أن نتساءل عن الدور الذي قام به الخوارج لمعم الروابط السياسية بين الخليج والمغرب منذ صدر الاسلام ، فالأزارقة قد ثاروا في الاهواز والبصرة حيث استباحوا دماء وأعراض المسلمين الخارجين عن نطاق فكرتهم ولكنهم ما لبثوا ان انهزموا لتطرفهم فخلعهم الصفريون القائلون بضرورة التعايش مع غير الخوارج وقد نفذ هؤلاء الصفرية في المغرب الى قلوب البربر الذين شقوا الطاعسة على الخليفة هشام وأججوا نار الثورة عام 121 هـ باقليم طنجة وتسربت فلولهم الى الصحراء فأسست (عام 140 هـ) مدينة سبلماسة التي أصبحت حاضرة بني مدرار الى منتصف القرن الرابع الهجري وهو التاريخ الذي تهدمت فيه مدينة البصرة المغربية وانهار الحكم الخارجي وكذلك الشيعة في المغرب بانهزام جوهر الصقلي الذي نقل عدته الى مصر حيث بنى القاهرة وليس من قبيل الصدفة ان يجعل الخوارج من البصرة مؤنلا لهم ومركزا ينافسون به الكوفة التي عدت قاعدة من قواعد الشيعة في نفس الوقت الذي جعلوا من سبلماسة في قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة أساسية في سلسلة المراحل التي تاوى اليها القوافل التجارية كما انه ليس من قبيل الصدف ان تتقلص الحركة التجارية بين الخليج والمغرب في القرن الرابع الهجري في نفس الوقت الذي تقلص فيه نفوذ الخوارج .

ومنذ ان استوثقت روابط المغرب بالصحراء في القرن الخامس بدأت أسواق النخاسة تتفق في خفاء وكذلك كان الامر عندما شكل عنصر الزنج في الدور العباسي الثاني (ما بين 233 هـ و 468 هـ أي 847 م 1075 م) طبقة متميزة في المجتمع العربي وخاصة في شمال الخليج فعززوا حركة الرق والنخاسة بإساعدهم امتداد النفوذ الاسلامي الى افريقيا (أي تونس وجزء من الجزائر) وازدهار الملاحة العربية حيث ما فتئ الأبوليون ان يسيطروا في القرن التالي على الشق الشرقي لبحر العرب أي البحر الابيض المتوسط يساندهم في الشق الغربي الموحدون الذين كان لهم اسطول من اربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسي أندري جوليان أعظم اسطول في البحر

(1) صقلاب هي أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج 5 ص 372) ولعل قسما من الصقالبة ينسب اليها لا الى جنس السلاف

العرب على أن حركة القرامطة الإبادية قد بدأت منذ سنة 315 هـ / 927 م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعرقلون سير القوافل التجارية أو قوافل الحجيج لاعتقادهم أن الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الأصنام ولذلك أجهز القرامطة على مسن سموهم بالكفار وعبداء الإحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى في المسجد الحرام واندفعوا يخربون جوانبه بحراهم وخيولهم فاحتملوا معهم الحجر الأسود إلى الأحساء حيث بقي ملقى إلى عام 339 هـ / 900 م .

وبنو هذيل هؤلاء الذين حاولوا في الخليج الوقوف في وجه القرامطة منتهكي حرمة البيت هم الذين أشرنا إلى اعتدالهم عندما هاجروا إلى المغرب الأقصى في القرن السادس الهجري بدعوة من المنصور الموحي بطل معركة الأرك في الأندلس .

ومهما يكن فإن هذه الأحداث قامت حجر عثرة في طريق المبادلات التجارية حيث أن الحشاشين من الإسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم في شرقي الخليج حتى خلال الحكم الأيوبي إلى الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي 659 هـ / 1260 م .

وإذا كانت التجارة قد تقلصت في هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغرب عامة فإن ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب إلى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا منبئين على طول مراحل القوافل شرقاً ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فإن نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادلات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجري ثم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل في قلب الصحاري إلى حدود غينيا وشكل جيشاً من العبيد (أي الزوج) ما لبث أن أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج إلا أن عنصراً جديداً ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الأحمر في وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيداً لغزو الخليج العربي وكانوا قد أنشأوا عام 1482 م في ساحل الذهب أول مستعمرة لهم في أفريقيا وهنا يبرز دور المغرب في انتفاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام 1540 م دخل سليمان القانوني إلى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوع » على الساحل الأفريقي من البحر الأحمر

حيث اندحر البرتغاليون أمام الأسطول العثماني غير أنهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية في الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا إليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب في الأندلس تقتيلاً وتهجيراً ولكن رد فعل المغرب الأقصى كان عنيفاً ، ففي عام 986 هـ (1578 م) هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب الدون سبستيان (Don Sébastien) وبلغ جنس البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين ألفاً وقطع أسطولهم الرابضة في أصيلا والعرائش 847 وزحف الجيش البرتغالي إلى وادي المخازن في متم جمادى الأولى من نفس السنة أي ربيع غشت عام 1578 م وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحي على العالم الإسلامي شرقاً وغرباً باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب الفاتكان وكانت الحملة لاحتلال المغرب منسقة بقيادة البابا اقتصاصاً من الوجود العربي بالأندلس وتعويضاً للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنجاريا والبابا الاسكندر السادس هو الذي أصدر مرسوم تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بين أسبانيا والبرتغال عام 1494 غداة الكشف عن أمريكا ولكن أبى الله إلا أن يهزم هؤلاء الأحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر أسطوله فكانت هذه المعركة - كما يقول المؤرخ الفرنسي هنري طيراس - المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع بين المسيحيين والإسلام أنزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن الدون سبستيان مات بدون وارث فخلفه عمه فيليب الثاني ملك أسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسها للأسبان ولذلك تم خلال هذه الفترة اجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التي احتلوها قرناً كاملاً عام 1622 م أي بعد معركة وادي المخازن بأربع وأربعين سنة ، كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربي عام 1649 م الموافق 1059 هـ وبذلك تحرر العالم العربي من هيمنة البرتغال الذين لطخوا تاريخ العروبة والإسلام طوال أربعة قرون .

وإذا كان الخليج العربي قد غدا منذ القرن الثالث البحري المرحلة الرئيسية في تاريخ الملاحة العربية تمر به المراكب في ذهابها وإيابها بين أوروبا والشرق الأقصى عبر البحر الأبيض المتوسط فإن كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق إلى القرن العاشر

بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » في الطب على أن مجلة « نيوزويك » الأمريكية أكدت في عددها الصادر في أبريل 1960 (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص 13) أن الوثائق التي عثر عليها تثبت أن أمريكا كانت معروفة للعرب « الذين قاموا - حسب تعبيرهم - قبل سنة 1100 م على الطرف الغربي للعالم الإسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الأمريكي » وقد أبد هذه النظرية (1) الدكتور لين شينج بانج استاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما أيدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الأمريكية . وقد كان ابن عربي الحاتمي يرى أن وراء المحيط الاطلنطيقي امما وعمرانا وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني (المتوفى عام 749 هـ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود ارض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات (اي كناريا) جزائر وصفها وصفا يكاد ينطبق على أمريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي - محاضرات مجمع دمشق ج 2 ص 233) .

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلى في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية ، وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما أرادوا أن يركزوا في الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ اذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حماية صفاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غازات المراكب والسفن المغربية مما أدى ببعض الدول الكبرى كالدينمارك (2) والسويد وبعض المرافء الحرة كهامبورغ وبريم بألمانيا الى دفع اتاوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما بأسطوله من لصوصية البحر . وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم الى المحيط الاطلنطيقي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضغط هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرارهم الى الاحتفاظ بجزء من اسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية الا أن الانجليز فوجئوا هنا وهناك في آن واحد على طول

الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو الممر الفاصل بين المحيط الاطلنطيكي والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية الى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام 857 هـ 1453 م وباستئصال شأفة الغزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في الحرب الصليبية الثانية التي أججت اوربا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنتقل في حلقات أخرى من هذه الحسرة بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي ، غير أن حدثا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف أمريكا عام 898 هـ / 1492 م من طرف كريستوف كولومبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه الى رجل من ابناء رأس الخيمة على الشاطئ الغربي للخليج العربي ، وهذا الرجل هو ابن ماجد أحمد السعدي أسد البحر ابن ابي الركائب الذي ساهم على غير قصد منه في تحطيم سيادة العرب على المحيط حين استعان به فاسكو دوغاما قائد الاسطول البرتغالي عام 1498 م لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي ورأس الخيمة هي احدى الامارات السبع التي ظلت الى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع سواحل عمان وقد أقضت مضاجع أساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجين والمحيط .

والغريب ان اكتشاف أمريكا الذي نسبته الكثير من المؤرخين الى العرب يرجع الفضل فيه بالذات اما الى رجال الخليج قبل الميلاد او الى عالم من علماء الاندلس والمغرب ، فقد تأكد ان الفنيقيين المنتسبين اصلا الى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول افريقيا ووصلوا الى البرازيل واسسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة الى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقية اي لهجة افريقيا الشمالية مما يدل - اذا صحت هذه الرواية - على أن القرطاجنيين - وهم عرب فينيقيون تأقلموا في المغرب - هم الذين اسهموا مع المغاربة في اكتشاف أمريكا على أن كريستوف كولومبس نفسه يعترف كما أورد ذلك المؤرخ الفرنسي رونان في كتابه « ابن رشد ومذهبه (Averroès et l'Averroïsme) بأن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بأن الذي أوعز اليه

(1) راجع الخليج العربي - قدرى قلعجي ص 56 .

(2) كانت الدينمارك تدفع سنويا للمغرب 51 000 ويكسدال أي أزيد من ربع مليون فرنك ذهبي .

طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي الهادف الى اقتسام العالم بين زعيمتي الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانية ضلع في دعم هذا الاتجاه فأنشأ الهولنديون عام 1592 م شركة للتجارة مع الهند واتجه اسطول هولندي بين 1598 و 1601 م (موافق 1007 و 1010 هـ) الى المحيط الهندي عن طريق الممر الجديد براس الرجاء الصالح للاتجار والغزو معا بينما عقدوا المغرب الأقصى معاهدة عام 1610 م للحصول على رسوم الاسبقية في التجارة الخارجية ، ولم يكد يهل عام 1640 م (1050 هـ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة في الخليج العربي الا أن صراعهم ضد الانجليز ما فتىء أن يستفحل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناصب العداء لاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا الا أن الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع الغيار بينما طفق الانجليز يواصلون حربا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام 1652 م (1063 هـ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما وراء البحار فاشتبك الاسطولان الانجليزي والهولندي في مياه الهند المؤدية الى الخليج ، والواقع أن القراصنة المغاربة قلعوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجارتهم في الشرق في نفس الوقت الذي ادى حياذ القراصنة بهولندا الى نوع من الحصانة تمتع به اسطولها في البحر المتوسط مما فسح لها مجال الضغط على الخليج ،

وقد احتفظ المغرب الاقصى باستقلاله في هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال الف عام (الى عام 1912 م) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل في منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره في معركة وادي المخازن حيث أصبحت دول أوروبا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالامر الهين ولا بالشئ الذي يمر دون أن يثير اعجاب العالم مما حدا للانجليز الى مفاتحة المغرب في القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك في الهند وفي عام 1600 م وجه المنصور الى ايليزابيث ملكة انجلترا سفارة للقيام بمأمورية سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي ضد اسبانيا وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند ، وقد شاطرها السلطان هذا الرأي مطالبا لتمويل المشروع بمائة الف جنيسه استرليني وانشغل المغرب في لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر (1) وفتح مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتنائه وصدره المغرب الى الشرق في جملة ما صدر من جلود وزيت ومعادن (من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالاضافة الى ملح البارود والكبريت) وأصبح للدینار المغربي نقاق في السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى 3548 غرام وتهافت المضاربسون من الانجليز على هذه العملية القوية يستعوضون بها عما خسروه من صفقات في الخليج (2) بل أصبح المغرب يدلي بدلوه في توجيه السياسة الاوربية وفي فتح قروض (ناب منها دولة هولندا مليون ونصف مليون دينار) واكتساح أوروبا حيث وجه عملاء للدعاية

- (1) كان السكر يصنع في شقي العروبة بافريقيا ومصر (الخطط للمقريزي ج 1 ص 203) وافريقية وخاصة في قابس وحلولا (المسالك للبكري - جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) وكانت معاصر السكر في المغرب تدر سنويا على المنصور السعدي ازيد من ستمائة الف اوقية ذهبية (وزن الاوقية 30 غرام تقريبا) وكان بالمغرب مناجم فضة وذهب (البكري) خاصة قرب سجلماسة (كتاب الاستبصار) والنحاس الخالص الذي لا يعدله غيره شرقا وغربا (الادريسي) بالاضافة الى القطن الذي كان يزرع بتادلا (وصف افريقيا للادريسي ص 50) وتطورت على يد الانجليز عام 1864 م في منطقة مدينة الجديدة صناعة قطن حريري شبيه بالقطن الامريكي كان نافقا في أوروبا وذلك بالاضافة الى مصانع الطلس (Satin) ايام السعديين .
- (2) كانت تنبكتو تؤدي الى المغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطارا من التبر اي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي اعظم امير في العالم من حيث العملة وكان الانجليز يهربون الذهب في صناديق السكر المغربي .

لمنتجاته وسوائمه ومعادنه عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المتزاحمة الاجنبية .

غير ان منافسا جديدا ما لبث ان برز هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطر عدوتى الامس (هولندا وانجلترا) الى التحالف لدرء خطره الداهم ولكن ذلك لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز فى الخليج ، واستطاع نابليون ان يطأ تراب النيل فاتحا وان يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانقضاء عليه فى مائة الف من جنده اذا هو لم ينضم الى كتلة الحصار البرى (Bloc continental) المضروب على الانجليز وكان اسطول القراصنة المغاربة يقض مضاجع الاوربيين فى المتوسط وفى عرض المحيط الاطلنطيقي الذي نقلوا اليه عملياتهم بعد ان اصبح طريقا جديدا الى الخليج ولم تكن علائق فرنسا مع المغرب مستوسقة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهج سياسة التنازع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانبا للتلصص من ضغط جانب آخر .

والواقع ان انقسام المغرب الى اقاليم مستقلة خلال القرن السابع عشر (قبيل توحيد المغرب على يد الدولة العلوية) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع فى امارات الخليج بالنسبة للبولنديين والانجليز والفرنسيين .

ففى الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الانجليزية فى الشرق واوروبا الشرقية اى القرن السادس عشر تزايد ايضا مع المغرب وحتى غينيا بافريقيا ، غير ان الفرنسيين كانوا قد بدؤوا حتى الهولنديين فى مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت فى عام واحد (1698 م) لمرسى سلا اربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بستين شركة تجارية فرنسية اضطلعت باصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية الى فرنسا نحو من سبع وعشرين سفارة ، اولاهام 1576 م والاخيرة عام 1909 اى قبيل الحماية بثلاث سنوات

كانت حجرة بادس تعتبر ميناء فاس فى البحر الابيض المتوسط ، وكان الاسطول التجاري لبعض الدول يربط فيها الا ان القراصنة الجزائريين اتخذوها عام 1564 م (971 هـ) مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم لان القراصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل المسلمين على ما لحق اخوانهم فى الاندلس من نفسي وتنكيل

وتقتيل وقد تحالف قراصنة سلا (وهم خليط من العرب والمسلمين والاعلاج من كافة سواحل المتوسط) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الاسلامية المتوسطة تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة مشروعة ضد العدوان الايرى فحسب بل ايضا لانها اعادت الى العرب سيادة المتوسط والمحيط وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الامن والطمأنينة فى البحار بالنسبة للسفن العربية والحليفة ، وكان معظم البوارج الحربية فى اوائل العهد العلوي (اى فى نهاية القرن السابع عشر) قد اقتنصها القرصان من الاسطول الفرنسي او الهولندي او الانجليزى واهمها تسع عشرة سفينة انجليزية واربع فرنسية مما يدل على هيمنة اسطول القرصان الجهادي ، وقد بلغ عدد القطع البحرية الخمسين فى عهد المولى محمد بن عبد الله وسبعا واربعين ايام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذلك ينغم فى الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا روسيا الى طلب انضمامه فى حرب القرم (1854 م - 1856 م) الى كتلة المحابدين واستدراجه للدخول الى الحلف الروسى الامريكى ضد تركيا وفرنسا وانجلترا ، وكان المغرب يشعر بان انغماره فى هذا الحلف يعزز مركزه ضد الفرنسيين والانجليز الذين بداوا يتنافسون لبسط نفوذهم على المغرب لا سيما بعد ما احتلت فرنسا الجزائر واجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مكنية عام 1845 ولكن المغرب راعى ذمام الاسلام فلم يجرؤ على الدخول فى حلف موجه ضد تركيا المسلمة وغم كونها كانت حجرة عثرة فى سبيل وصل علاقاته مع الشرق العربى وخاصة الخليج منذ ان سيطر العثمانيون عليهما فى منتصف القرن الخامس عشر ، وتمتاز هذه الصلات العريقة بين الخليج العربى والمغرب الاقصى وهما شقان متناثيان للوطن العربى الممتد الى المحيط - بظاهرة هي امالة معظم مصطلحاتهما الدارجة بالنسبة للفصحى ! ولا شك ان هذه الوصلة التي استوثقت عبر العصور راجعة بالاضافة الى العوامل التي اشرنا اليها كوحدة الاصل الكنفاني والتأثير الحميري المشترك الى وحدة المنبع المالكى فى مفرداته الفقهية ومصادر اقتباسه الحديثة والقرآنية ، ولا شك ان لرواج المصطلحات المالكية فى جميع المناحي الاجتماعية خاصة فى ابي طي اثرا قويا فى تكييف هذا التراث الوجدوي ، كما ان احتكاك التجار المغاربة بزملائهم الخليجيين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة اشرنا الى بعضها فى معجم خاص حاولنا فيه ابراز مظاهر الوحدة فى عاميتي المغرب والخليج ونشر فى مجلة اللسان العربى (عدد 5 -

1387 هـ / 1967 م) . وهذه الكلمات موحدة المعنى في الخليج والشام والمغرب أي في المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية وتأثرت بلغة القرطاجيين أي اللغة البونيقية ، وهاكم جملة منها : البابت (للباقي مسن طعام الامس) والبحرة أو البحيرة (للمستنقع) والبراحة (للبراح) والبساسة (للبساس) وبغى (ببغى) (بمعنى أراد) والبلدة والبلع (لمنزلتي من منازل القمر) والبلدية (لاحدى دوائر الحكومة) وبلم فمه (أي أغلقه) والتحسونة أو الحسانة (للحلاقة) والجنطة أو الشنطة (للحنطة) والحارة (للمحلة والحي) وحب (بمعنى قبل) وحويل أو حولى (أي ما دار عليه الحول والخطر) (بمعنى الضيف الطارق) والختمة (بمعنى اتمام القرآن) والخنفرة (أي الانف الكبير) والدرويش (بمعنى الفقير) والريعة (أو الريعة لصندوق ايداع أجزاء القرآن) والردحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابة من الاصابع) والصيني (أي اناء النحاس أو الخزف) والطنا (بمعنى الاغظة تقول اطنانسي أي اغاظني) والعرضة (أي حفلة الزواج) والعزيمة (أي الدعوة الى مآذبة) والاعشار (بمعنى الزكوات) والعمارية (أي الحفة) والعيال (بمعنى الاولاد الصغار) والغربي (أي الهواء يهب من جهة الغرب) والفكغ أو الفقاع (أي الكماة) والكحة (بمعنى السعال) وكخ (للنهي عن الاقتراب من الشيء القذر) والمرفاعة أو المرفع (للرف المعلق) والمشموم (للباقة من الرياحين)

والمطهر (للمرحاض) والمكبة أو المكب (لفظاء صحن الطعام) ، وهناك أسماء اعطيت لمدن ومناطق شتى تقع في امتداد طرق القوافل منها « الجبل الاخضر » في المغرب وهو ينبثق كجزيرة في قلب الصحراء وكذلك « الجبل الاخضر » الذي يقوم على محاذاة ساحل عمان وسط كئبان الرمال من الصحراء الحمراء الخليجية .

وتبرز امارة ابي ظبي في هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظرا لواحاتها الشربة واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حدود المملكة العربية السعودية ونظرا لما كان يسودها من امن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عمان أي يسمى ساحل الهدنة .

تلك مظاهر للوحدة الاصلية المتغلغلة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي الى المحيط لاطلنطقي ، وقد عادت هذه الوحدة اليوم الى عنفوان عزها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستر الكثيفة التي قامت اثلا اصطناعيا بين اخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفرقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجات قلوبنا متساوقة ولأن لنا في مقومات تراثنا العربي الاسلامي سندا قويا لم تفصمه نوائب الدهر ولم تحل عسراه الوثقى مكائئد المستعمرين .